جمهورية العراق
ديوان الوقف الشيعي
العتبة الحسينية المقدسة

المحقق
الهاشمي

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات والبحوث عن حوزة الحلة العلمية

تصدر عن
مركز العلامة الحلي
لإحياء تراث حوزة الحلة العلمية

السنة الثالثة/ المجلد الثالث
العدد الرابع ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

٤

دِرَاسَةٌ أُسلوبيةٌ في وَصِيَّةِ العَلَّامةِ الحلّيّ

د. ناصر قاسمي
بردیس فارابي / جامعة طهران

د. عـمّار الزوينيّ الحسـينيّ
بردیـس فارابي/ جامعة طهران

الملخص

لقـد تضمّنت وصيّـة العلاّمة الحلّي أسـلوبًا ممتعـا، وقيمًا لغويَّـة، وبُعدًا دلاليًا،وكذلـك القيـم التركيبيّـة وبعدهـا التركيبـي، وكذلـك احتـوت عـلى العلاقـات المتداخلـة في وحـدة النصِّ وأبعادها في السـياق، أو مـا يطلق عليه بـ(علم المناسبة).

لـذا اهتـم البحث بالمسـتويين الـصرفي والـدلالي في تلك الوصيَّـة؛ وذلك لأهميتهما في الدراسـة الأسـلوبيّة، فالوصيّة مليئـة بالمحسّـنات البديعيّة، وهو ديـدن العلاّمـة الحـلّي في كتاباته، فهي تسـتوقفك في كلِّ موقـف، بل في كلِّ لفظـة تجذبك نحوها، وتجعلك مرتبطاً بعـالم المادّة والمعنى بعالم الدنيا والآخرة لما تمتلك من القيم اللغويّة، وكذلك بمستوياتها(الصوتي-الصرفي-التركيبي-الدلالي).

وبـيّن البحـث الاهتمام بـدور الحـروف ودلالاتهـا، ووحدة النِّـص الذي احتـوى على التراكيب اللغويّة العميقة المضامين، بل إنّ اسـتعمال الإشـارة أو التلويح في الوصيّة هو أجمل ما توصّل إليه البحث، وكذلك الأساليب النحويّة من الذكر والحذف والتعجّب والاستفهام الحقيقي والمجازي.

A Stylistic Overview on Al-Allama Al-Hilli's (May Allah sanctify his secret) Will

by Dr. Nasir Qasimi / university of Tehran and Ammar Az-Zuwaini Al-Husaini / university of Tehran

Al-Allama Al-Hilli›s will contains an interesting style, linguistic values, a semantic dimension, syntactic values together with their dimensions. It also includes the interlaced relations in the unity of the text and its dimensions in the context or what is called (science of context).

Hence, research has taken notice of both levels: morphology and semantics, found in that will. This is due to their importance in stylistics. The will is full of muhassinat badee›iyah(the linguistic devices which rhetorically improve language), whose use is the habitude of Al-Allama Al-Hilli in his works. They strike your sight in every situation, or rather in every word, attracting you towards them, making you more associated with the material world and meaning, in this world and in the hereafter. This is due to what they possess of linguistic values, as well as their having various levels: phonological, morphological, syntactic and semantic.

The present paper focuses on the role played by the letters and their meanings, text unity, which contains the linguistic constructions including deep implications. Moreover, the use of reference or implication in the will is the most aesthetic conclusion the paper has come up with. It has also shed light on the grammatical styles: citation, deletion, exclamation, and real and metaphorical interrogation.

المقدّمة:

إنّ أيّ كلام عن الوصيّة، وعن صاحبها لا شكَّ، ولا ريبَ في أنه يتطلّب المزيد الحيطة والحذر والاهتمام، فالوصيّة حقٌّ من حقوق المسلم، لذا ينبغي الالتزام بها، فكلام العلاّمة الحلّي في وصيّته كلّه كسبيكة مفرغة لا تختلف حروفه في الطريقة والأسلوب، فهو كلام يغلب عليه حُسن التعبير، خالٍ من التكلّف والتصنّع، صادرٌ عن فكر عميق، وأدب جمّ، وتذوّق حسن، وتعبير أصيل بليغ. إنّ طبيعة الجمل والتراكيب في وصيّة العلاّمة الحلّي، وكيفيّة جريانها على أنساق تركيبيّة معيّنة تحدّد دلالاتها ومعانيها الدقيقة، وما ينطوي خلف نظمها، وحركة عناصرها المكونة لها من مقاصد تواصليّة وتأثيريّة وأسلوبيّة ودلاليّة، فالعمليّة التواصليّة بين الباث (الأب) والمتلقّي (الابن) لا تقف عند حدود الكلمات المفردة، إذ لم يعد للكلمة المعيّنة معنًى مُستقرًّا خارج حدود التركيب، وخارج حدود السياق الذي ترد فيه تلك الكلمة؛ لأنّ هذا التركيب الذي يجري وفقًا لسياق معين هو الذي يفجّر إمكانات اللغة، ويحكم اتصالها بحقل دلالي معيّن دون غيره، وهذا الحقل الدلالي هو الوجود الحقيقي للكلمة، ومفردات العلاّمة الحلّي جزلة فخمة في فصاحتها ممتدة في دلالاتها، والدراسة الأسلوبيّة تميز الكلام الفنّي عن بقيّة مستويات الخطاب، وكذلك عن سائر أصناف الفنون الإنسانيّة، فهي محورٌ جديدٌ في تمييز أسلوب الكاتب؛ لأنّها تُظهر أدبيّة الأسلوب من خلال فرضيّة المستويات المتعدّدة، فهي لم تكن لغة علميّة بحتة وأنّها لم تكن لغة فلسفيّة.

وتُعَدُّ وصيّة العلاّمة الحلّي من أبرز الوصايا الوعظيّة والوصفيّة

وقد خاطـب بها ولده فخر المحقّقين عن سيرة المرء في حياته، فقد نبّهه إلـى الخصال التـي هـي سمة من سمات المسلـم، ولم تقتصر أهميّتها علـى مستـوى المضمـون فحسبُ، بـل تتعدّى إلـى مستويـات أُخرى، فسحرهـا الموسيقي بمـا تحمل من الطاقـات الصوتيّـة تتواشـج مـع الألفاظ، والمعاني في نسيج رائع، بل تكمن الموسيقى فيهـا في الألفاظ بمـا تحتوي من أصـوات تختلف في وضوحهـا السمعـي وقدرتهـا على إبـراز المعنى، وتتناسـق الألفاظ مع الـدلالات الكامنـة فيهـا، وهذه الدراسـة الأسلوبيّـة تُظهـر دلالات الوصيّـة عن طريق دراسة المستويات اللغويّة فيها، فالمستويات اللغويّة التي تدرس في المنهـج الأسلوبي أربعة أو ستّة[1]، وهي: (الصوتي- الصرفي- النحـوي- المعجمـي- التركيبيّ- السياقـي)، وقـد جـاء تركيـز هـذه الدراسة في هـذا المنهج على ثلاثـة مستويات: المستـوى الصوتي: الكشـف عن مدى تلائـم أصوات الحـروف الانفجاريّـة المستعملة في الوصيّة مع الدلالات الموجودة فيها، فقـد دُرست في هـذا المستوى دلالة صفات الأصوات (الجهر، والهمس، والشدّة، والرخاوة)، ودلالة تكرار الأصـوات، والمستـوى الصرفـي: دُرست فيه ظاهرة (زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى)، ودلالات الأفعال الماضية وجموع التكسير، والمستوى التركيبـي: دُرسـت فيـه أسلـوب التوكيـد والإحالـة الضميريّـة، والمستوى الدلالي: دُرست فيه السجع والطباق، علمًا أنّنـا لم نجد دراسة أسلوبيّة لهذه الوصية، واللّه الموفّق.

مرجعية البحث:

يُعـدّ النثـرُ أحد ركنـي الأدب العربي، فالنثرُ والشعرُ فيهما عُرفت فنون الأدب، لـذا يمكن القول: إنّ أدب العلاّمـة الحلـيّ - عن طريق النـصّ النثـري في وصيّتـه - يمثّل

مرحلة من مراحل اللون الفنّي في الأدب العربي، ولهذا السبب ارتأينا أن نغوص في بحر نتاجه الأدبي.

وأمّا أسلوبيّة الوصيّة فيبدو أنّها لم تدرس بشكلٍ مكثّفٍ، بل إنّنا لم نجد دراسة أسلوبيّة حسب مطالعتنا المتواضعة، ولذلك شرعنا بالبحث عن أسلوب هذه الوصيّة، وكذلك البحث عن القيم الجماليّة والدلاليّة فيها الوصيّة.

الحياة الأدبيّة للعلاّمة الحلّي قدس سره:

لاشكَّ في أنّ العلاّمة الحلّي لم يكن شخصًا مغمورًا محتاجًا لمعرفة حياته الأدبيّة، أو ترجمة سيرته العلميّة، فهو قمّة سامقةٌ في العلم والأدب، والفقاهة، بل هو طود شامخٌ، وآثاره العلميّة تكدّست في بطون الكتب، وأنارت المكتبات الإسلاميّة، وشهد لفضله المؤالف والمخالف، فهو نبراسٌ مضيءٌ حيٌّ خالد الذكر، ويحقّ للمسلمين التباهي به، فهو أنموذجٌ قلّ نظيره في الأوساط العلميّة، نعم إنّه العلاّمة الحلّي الحسن بن يوسف بن علي بن المُطهّر الحلي قدس سره المولد والمسكن، فقد ولد في شهر رمضان عام ٦٤٨هـ. ترعرع في حجر أبوين صالحين، فتربّى في حضن المرأة الصالحة بنت الحسن بن أبي زكريا يحيى بن الحسن بن سعيد الهذلي الحلي قدس سره، وتحت رعاية والده الإمام الفقيه سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر قدس سره، وشارك في تربيته مشاركة فعالة خاله المعظم المحقق الحلي، فكان له الأب الشفيق من كثرة رعايته له والاهتمام به، وهكذا فقد درج هذا المولود المبارك في محيط علمي مملوء بالتقوى.[٢]

الوصية:

كتب العلامة الحلّي قدس سره وصيّة لولده فخر المحققين قدس سره في آخر كتابه (قواعد الأحكام) فقال: «إعلم يا بُني – أعانك الله تعالى على طاعته، ووفّقك الله لفعل الخير

وملازمتــه، وأرشدك إلــى ما يحبّه ويرضــاه، وبلّغك ما تأمله من الخير وتتمنّاه، وأسعدك اللّه في الدارين، وحبــاك بكلِّ ما تقرّ به العين، ومدّ لك فــي العمــر السعيــد، والعيش الرغيد، وختم أعمالك بالصالحات، ورزقك أسبــاب السعادات، وأفاض عليك من عظائم البركات، ووقاك اللّه كلّ محــذور، ودفــع عنــك الشــرور- أنّي قد لخّصــت لك في هذا الكتاب لبّ فتــاوى الأحكام وبيّنــت لك فيــه قواعــد الإسلام، بألفاظ مختصــرة، وعبارة محرّرة، وأوضحــت لك فيــه نهــج الرشاد، وطريــق السداد، وذلك بعد أن بلغت من العمــر الخمســين، ودخلت في عشــر الستــين، وقد حكــم سيّد البرايــا، بأنّها: مبدأ اعتراك المنايا، فــإنّ حكــم اللّه تعالى علــيّ فيها بأمره، وقضى فيها بقدره. وأنفذ ما حكــم به على العباد، الحاضر منه والباد. فإنّي أوصيك - كما افترضه اللّه تعالى عليّ من الوصيّة، وأمرني به حين إدراك المنية- بملازمة تقوى اللّه تعالــى، فإنّها السنــة القائمة، والفريضة اللازمة، والجنّة الواقية، والعــدّة الباقيــة، وأنفــع مــا أعدّه الإنسان ليوم تشخص فيه الأبصار، ويعــدم عنه الأنصار. وعليــك باتّباع أوامــر اللّه تعالى، وفعل ما يرضيه، واجتناب مــا يكرهه والانزجار عن نواهيه، وقطــع زمانك في تحصيل الكمــالات النفسانيّــة، وصــرف أوقاتك في اقتناء الفضائل العلميّة، والارتقــاء عــن حضيــض النقصان إلــى ذروة الكمــال، والارتفاع إلى أوج العرفــان عــن مهبــط الجهال، وبذل المعروف، ومساعدة الإخوان، ومقابلة المسيء بالإحسان، والمحسن بالامتنان، وإيّاك ومصاحبة الأرذال، ومعاشرة الجهّــال، فإنّها تفيد خلقًا ذميمًــا، وملكة رديئــة، بل عليك بملازمة العلماء ومجالسة الفضلاء،

فإنّها تفيد استعدادًا تامًّا لتحصيل الكمالات، وتثمر لك ملكة راسخة لاستنباط المجهولات وليكن يومك خيرا من أمسك. وعليك بالصبر والتوكّل والرضا. وحاسب نفسك في كلّ يوم وليلة وأكثر من الاستغفار لربّك. واتّقِ دعاء المظلوم، خصوصًا اليتامى والعجائز، فإنّ الله لا يسامح بكسر كسير. وعليك بصلاة الليل، فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم حثّ عليها وندب إليها، وقال: (مَنْ ختم له بقيام الليل ثمّ مات فله الجنة)، وعليك بصلة الرحم، فإنّها تزيد في العمر، وعليك بحُسن الخلق، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم)، وعليك بصلة الذريّة العلويّة، فإنّ الله تعالى قد أكّد الوصيّة فيهم، وجعل مودّتهم أجر الرسالة والإرشاد، فقال تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنّي شافعٌ يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريّتي، ورجل بذل ماله لذريّتي عند المضيق، ورجل أحبّ ذريّتي باللسان والقلب، ورجل سعى في حوائج ذريّتي إذا طردوا وشردوا)، وقال الصادق عليه السلام: (إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أيّها الخلائق أنصتوا، فإنّ محمّدًا يكلّمكم، فينصت الخلائق، فيقوم النّبيّ صلى الله عليه وآله فيقول: يا معشر الخلائق، مَنْ كانت له عندي يدٌ أو منّةٌ أو معروفٌ فليقم حتّى أكافئه. فيقولون: بآبائنا وأمهاتنا، وأيُّ يدٍ وأيُّ منّةٍ وأيُّ معروفٍ لنا؟! بل اليدُ والمنّةُ والمعروفُ لله ولرسوله على جميع الخلائق، فيقول: بلى، من آوى أحدًا مِن أهل بيتي، أو برّهم، أو كساهم مِن عُري، أو أشبع جائعهم، فليقم حتّى أكافئه. فيقوم أناسٌ قد فعلوا ذلك، فيأتي النداء

من عند اللّه: يا محمّد يا حبيبي، قد جعلت مكافأتهم إليك، فأسكنهم من الجنّة حيث شئت فيسكنهم في الوسيلة حيث لا يحجبون عن محمّد وأهل بيته عليهم السلام، وعليك بتعظيم الفقهاء، وتكرمة العلماء، فإنّ رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال: (مَنْ أكرم فقيهًا مسلمًا لقي اللّه تعالى يوم القيامة وهو عنه راض، ومَنْ أهان فقيهًا مسلمًا لقي اللّه تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان)، وجعل النظر إلى وجه العلماء عبادة، والنظر إلى باب العالم عبادة، ومجالسة العلماء عبادة. وعليك بكثرة الاجتهاد في ازدياد العلم والفقه في الدين، فإنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لولده: (تفقّه في الدين، فإنّ الفقهاء ورثة الأنبياء، وإنّ طالب العلم يستغفر له مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض حتّى الطير في جوّ السماء والحوت في البحر، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضىً به)، وإيّاك وكتمان العلم ومنعه عن المستحقّين لبذله، فإنّ اللّه تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾، وقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: (إذا ظهرت البدع في أمّتي فليظهر العالم علمه، فمَن لم يفعل فعليه لعنة اللّه)، وقال عليه السلام: (لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم). وعليك بتلاوة الكتاب العزيز، والتفكّر في معانيه، وامتثال أوامره ونواهيه وتتبّع الأخبار النبويّة والآثار المحمّديّة، والبحث عن معانيها، واستقصاء النظر فيها، وقد وضعت لك كتبًا متعدّدة في ذلك كلّه. هذا ما يرجع إليك. وأما ما يرجع إلي ويعود نفعه في: فأن تتعهدني بالترحّم في بعض الأوقات، وأن تهدي إليّ ثواب بعض الطاعات، ولا تقلّل من ذكري فينسبك أهل الوفاء إلى الغدر، ولا

تكثر من ذكري فينسبك أهل الغرم إلى العجز، بل اذكرني في خلواتك وعقيب صلواتك، واقضِ ما عليّ من الديون الواجبة والتعهدات اللازمة، وزر قبري بقدر الإمكان، واقرأ عليه شيئا من القرآن, وكلّ كتاب صنّفته وحكم الله تعالى بأمره قبل إتمامه، فأكمله وأصلح ما تجده من الخلل والنقصان والخطأ والنسيان. هذه وصّيتي إليك واللّه خليفتي عليك، والسّلامُ عليك ورحمة الله وبركاته والله أعلمُ بالصواب»[٣]

الوصيّة لغةً واصطلاحًا:

الوصيةُ لغةً: ما أوصيت به، وسُمّيت وصيّة؛ لاتصالها بأمر الميت. والوصي: الذي يوصي، والذي يوصى له الوصي: الموصي، والأنثى وصي، وجميعًا: أوصياء[٤].

وفي الاصطلاح، فهي: تمليك عين، أو منفعة، أو تسلّط على تصرّف بعد الوفاة[٥]. والوصيّة أمرٌ مستحبٌّ لذوي القرابة، إرثا كان أم غيره، لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة البقرة/١٨٠).

وحدة النص:

إنّ وحدة النصِّ من سمات الوصيّة الناجحة، فالنصُّ في وصيّة العلّامة الحلّي بوصفها كتلة لغويّة محكمة البناء والنسج يعتريها تفاعل الوحدات النصيّة فيها من حيث صدورها وكينونتها، ونستطيع تحديد الجوانب المحوريّة التي تتفاعل في الوحدات النصيّة، وكيفيّة ترابط هذه الوحدات وتعالقها المنطقي لاسيما أنّ العلّامة الحلّي قد وضع في ذهنه إطارًا محددًا يدير كلامه فيه ليوصله إلى ولده فخر المحقّقين، فتراكيب الوصيّة محكمة لا يشوبها لبس، ولا غموض، فهي جزلة فصيحة

ممتدّة الدلالة.

إنّ وحدة النصّ تسمح بالانسجام الدلالي الداخلـي (السياقي)، وهو انسجـام العلاقـات الترابطيّة ذات البُعـد الأفقي بين وحـدات النصّ، ونقصد به تلك العلاقات بين الجمل والعبارات الجارية على لسان العلّامة الحلّي، فهذا المحور يدرس التعاقب وأثره في تكوين الوحدة والانسجام النصـيّ، بل يعـدّ هـذا القسم هو الأشهـر فـي الدراسـات الأدبيّـة، وكـان يسمـى بعلـم المناسبـة[٦]، وقـد عدّه الـرازي وجهًا مـن وجوه الإعجاز البلاغي في الأدب والقرآن الكريم[٧].

فإذا أخذنا مثالاً كلمة (يا بُني)، فهو افتتاح الموعظـة بنداء المخاطب الموعـوظ مـع أنّ توجيـه الخطاب مغنٍ عـن ندائه لحضوره بالخطاب، فالنـداء مستعمل مجـازًا في طلب حضـور الذهـن لوعـي الـكلام، وذلك من الاهتمـام بالغرض المسوق له الكلام، و(بُنـي) تصغير (ابن) مضافًـا إلـى يـاء المتكلّـم فلذلك كُسرت الياء، والتصغير هنا لتنزيل المخاطب الكبير (فخر المحقّقين)ﷺ منزلة الصغير كناية عن الشفقة به والتحبّـب له، وهو في مقام الموعظة والنصيحة ، ففيه حثٌّ على الامتثال للموعظة، وربما لا يكون لها معنى يؤخذ بعين الاعتبار، ولكنّها حينما امتزجـت مـع غيرها فـي تركيب جـارٍ فـي سياق معـين فـي وحدة النصّ، دلّت على الاسم المشار إليه، فالعلاّمة الحلّي لم يذكر اسم ولده (فخـر المحقّقين)ﷺبلفظه، تعظيمًا له، أو ربما استعمـل أسلوب (إيّاك أعنـي واسمعي يا جـارة)، ولنتأمّل قليـلاً في كلمة (يا بُنـي)، فهو لم يكرّرهـا فـي الوصيّـة، وتكرار اللفظـة يُعَدُّ أمـرًا معيبًا عند العرب في بعض الأحايين.

ويبـدو أن العلاّمـة الحلّـيﷺ كان بعفويّتـه الثقافيّة يباشر عمله

الإبداعي الفوري، فيأتي النصّ متماسكًا في وحدة النصّ، فهو في غاية الإتقان والإبداع، فجريان كلامه في وصيّته على هذا النحو الباهر في حجمها الصغير هو دليل على الفعاليّة الخارقة لعقل مبدع موهوب.

مستويات التحليل اللغوي:

نعني به تفكيك الظاهرة اللغويّة إلى عناصرها الأوليّة التي تتألّف منها، وينقسم إلى مستويات: الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي.

المستوى الصوتي: هو علم الفونولوجيا الذي يُعنى بالأصوات وإنتاجها في الجهاز النطقي وخصائصها الفيزيائيّة.

إنّ علم الأصوات في اللغة يهتمّ بالجانب الصوتي فيها، ويأخذ هذا العلم على عاتقه أمورًا كثيرة منها: إحصاء الأصوات اللغويّة وحصرها في أعداد وتصنيفها إلى نوعين:

أولًا: أصوات أو حروف أصلية أو وحدات صوتيّة يُطلق عليها فونيمات، وتشمل الأصوات الصامتة والأصوات الصائتة - الحركات، (الفونيم: يُطلق على أصغر وحدة صوتيّة ذات أثر في الدلالة، أي إذا حلّت محلّ غيرها مع اتّحاد السياق الصوتي تغيّرت الدلالة واختلف المعنى).

ثانيا: أصوات أو حروف فرعيّة يُطلق عليها فونات، (الفون: فهو بمثابة تنوّع نطقي للفونيم أو الصوت الأصلي لا يؤثّر في الدلالة)، وقد عرّف أهل الاختصاص المستوى الصوتي بأنّه: «هو الأثر السمعي للكلام بتصنيف أصوات اللغة، وتنويع الصوت وفق أساليب القول من أمر ونهي وتعجّب واستفهام، وتعديد صفات الأصوات كالهمس والجهر والرخاوة والصفير والتكرار...»[٨]، ونستطيع من خلاله الوصول إلى الدلالة الصوتيّة عن طريق دراسة خصائص الحروف ومعانيها.

المستوى الصوتي في الوصيّة:

ابتـدأ العلاّمة الحلّيقدس سره كلامه بحرف عليـه طابع الشدّة، او يُنسب إلى حـروف الشدّة، وهـو الهمزة، فقد بـدأ كلامـه بالفعل:«اعلم»، والهمزة من حـروف الشدّة (الشدّة: قـوّة الحرف لانحبـاس الصوت من الجريان عند النطق به لقوّة الاعتماد عليه في مخرجـه، وحروفها ثمانية مجموعـة في أجد قـط بكت، أو أجدت طبقك)، وإذا تتبَّعنا الحُرُوفَ التـي استعملها العلَّامـةُ الحلّيّ في وصيّتـه لوجدنا أنَّ أكثـرَ الحُرُوفِ استعمـالًا هـي (حروف الشـدّة)، وهذا يعطـي تصوُّرًا حـول الوصيّة بأنّهـا مليئـة بالمواعـظ، ولابدّ من الأخـذ بها بقوّة كما ورد في القرآن الكريم: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم/١٢].

ويبدو أنَّ العلَّامـَة الحلّيّ قدس سره أرادَ بكلامِـه إظهـار الحـال، وليـس المستقبـل، أي إنّـه يعمـل بمواعظ الوصيّـة في الحـال، وهـي مثمرة للمستقبـل، وليكـون التناغـم متناسبًا مع حـرف الهمزة الشديد، وكذلك يستمرّ التناغم مع الحرف الثاني، وهو(العـين) المجهور، وهو حرف مجهور لكنّه متوسّط الشدّة والرخـاوة، كذلك هـو حرف يدلّ على الابتـلاء، وعدم التضييع، فهو يمثّل المواعظ التـي يتمّ فيها التوسّع والاحتفاظ[٩].

لا تكـاد تخلـو وصيّـة العلاّمة الحلّي من السجع، فالسجع يُعد من العناصـر المهمّة والمُؤثِّـرةِ في بلاغة العلاّمة الحلّي، فهو يأتي بهِ مُلائمًا لسيـاق الـكلام، والموقـف الذي يخطب فيه، والسجـع أسلوبٌ رائع استعمله القـرآن الكريم في أغلب آياته.

ومـن الغريـب أنّ بعـض أهـل الاختصاص يرفض السجع، بل يعده منافيًـا للبلاغة، لذلك أورد ابن أبي الحديد قـولًا لأصحاب علم البيان،

وهو أنَّ قَومًا عابوا السّجعَ ، وقالوا إنَّ الخُطبَ الخاليةَ من السجع والقرائن والفواصل هي خطبُ العرب، وهي المستحسنة الخاليةُ مِنَ التَّكَلُّفِ.

وقد ردَّ قولهم ابن أبي الحديد بقوله: «إنّ السجعَ يدلّ على التكلّف فإنَّ المذموم هو التكلّف الذي تظهر سماجته وثقله للسامعين فأمّا التكلّف المستحسن فأيّ عيب فيه؟ ألا ترى أنّ الشعر نفسه لا بدّ فيه من تكلّف لإقامة الوزن وليس لطاعن أن يطعن فيه بذلك»[١٠].

يأتي العلاّمة الحلّي بكلام مسجوع في وصيّته، إذ يقول: (ومساعدة الإخوان، ومقابلة المسيء بالإحسان، والمحسن بالامتنان)، وأيضًا قال: (وأوضحت لك فيه نهج الرشاد، وطريق السداد)، وأيضًا: (وقد حكم سيّد البرايا، بأنّها: مبدأ اعتراك المنايا، فإنّ حكم الله تعالى علّي فيها بأمره، وقضى فيها بقدره. وأنفذ ما حكم به على العباد، الحاضر منه والباد).

لقد اتّسمت هذه المقطوعات اللطيفة بالسجع المحكم الأداء، فكأنّ كلّ جملة في صيغتها المجزوءة المختصرة شطر بيت متشابه الوزن والروي، فكلماته مليئة بأنواع التنميق اللفظي والتلوين الصوتي، والدلالي بين عبارات الفقرات، ممّا يجعل الوصيّة محكمةً إحكامًا دقيقًا.

لا شكّ في أنّ وصيّة العلاّمة الحلّي تستند إلى السجع تارة، وإلى الازدواج تارة ثانية، وإلى المزج بينهما تارة ثالثة، وقد نجد شيئًا مغايرًا لا ينتمي إلى السجع أو الازدواج وذلك عن طريق التوظيف الدقيق للإيحاء الصوتي في للمفردات أو تنسيق الجمل في لون من الانسجام الموسيقي بين مقاطع صوتيّة قد تتعادل وقد تتجانس، وقد نراه يرسل القول إرسالاً من دون استناد إلى محسن بديعي لفظيًّا كان أو

معنويًّا.

وإذا كـان العلاّمـة الحلّي ﷺ لا يعتمـد الأسجاع إلاّ فـي مواضعها، فإنّ الوصيّة لها نغمة خاصّة، تسلك عبرها إلى نفـس السامع، تتضافر فيهـا صيـغ اللفظ والعبـارة وتآلف الحـروف، فأداؤه هو الأداء المحك، فالمثقّف الذي تفـد فيه اللفظة بنوع من الخلـق والاشتقـاق الخاص بها وبلاغة الأداء ونغميته لا تتحولان في وصيّـة إلى غاية بذاتهـا في نوع من الصنعة البديعـة أو ما إلى ذلك، بل إن النغم يتآلف مع اللفظة ومعناها، جَميعًـا، بنـوعٍ مِـنَ الوحـدة الحية المتكاملة ، فالعلاَّمـة الحلّيّ ابتعَدَ كثيرًا عـن التكلّف، لـذا جاءت الوصيّة متناسقة ومقبولة.

تكرار حرف الألف:

الألـف مـن حـروف المـدّ، وهو حرف جهـر وشدّة، فتكراره يُسهم فـي شـدَّةِ الـكلام، فالتكـرار: «يُسهم بما يوفّره من دفق غنائي في تقويـة النبرة الخطابيّـة، وتمكين الحركـات الإيقاعيّة مـن الوصول إلى مراحـل الانفـراج بعد لحظات التوتر القصوى»[11]

ولعلَّ هذا التكـرار له إيقاع في النفوس منسجـم مع الحالة النفسيّة للعلاّمـة الحلّـي، فهو يريـد تنبيه ولده، وكذلـك الأمّـة، وإيقاظها من غفلتها، وكذلك الاهتمام بأمر الوصيّـة، فقـد بلغ العلاّمـة الحلّي ذروة الإيقـاع الصوتي فـي كلماته (اذكرنـي فـي خلواتـك وعقيـب صلواتك، واقضِ ما عليّ من الديون الواجبـة والتعهـدات اللازمة، وزر قبري بقدر الإمكـان)، فقد أجاد في توظيف الألـف الموحي للدعوة، والقـوة والاهتمـام، فقـد استعمل أسلـوبَ الأمرِ (اذكرنـي، اقضِ، زر)، وكذلـك أجـاد فـي تكرار الألف فـي قوله: (فإنّـي أوصيك – كمـا افترضه اللّه تعالـى عليّ من الوصيّـة، وأمرنـي به حـين إدراك

المنيــة- بملازمة تقــوى الله تعالى، فإنّهــا السنــة القائمــة، والفريضة اللازمــة، والجنّة الواقيــة، والعدّة الباقيــة، وأنفــع ما أعــدّه الإنسان ليوم تشخص فيــه الأبصار، ويعدم عنه الأنصــار. وعليك باتّبــاع أوامر الله تعالــى، وفعــل مــا يرضيــه، واجتناب مــا يكرهه والانزجار عن نواهيه، وقطــع زمانك في تحصيل الكمــالات النفسانيّــة، وصــرف أوقاتك في اقتناء الفضائل العلميّة، والارتقاء عن حضيض النقصان إلى ذروة الكمــال، والارتفــاع إلى أوج العرفــان عن مهبــط الجهال»، فهنا وظِّــفِ الأَلِفِ لطلــبِ الآخرة، وعدم الاكتــراث بأمــر الدنيــا، فالألف جاءَتْ بنغمةِ القوَّةِ الممزوجة بالطلب.

ويبــدو أنّ العلاّمة الحلّي قد تــرك الجناس فــي هــذه الوصيّة، ونحن نعلــم أنّ الجنــاس من أكثر ألوان البديع موسيقى، وهو ينبع من ترديد الأصــوات المتماثلة التي تقوّي رنين اللفظ وتوجد جرسًا موسيقيًّا، فهــو ضرب مــن ضــروب التكرار يفيد تقويــة نغمة الالفــاظ، فضلًا عن كونه الدعامــة القويّة لتأكيد المعنى وتثبيته.

ذلك أنَّ سِرَّ الجناس يكمنُ في أَنَّهُ يقرِّبُ بــَين مدلول اللفظ وصوتِهِ مــن جهة، وبينَ الــوزنِ الموضوعِ فيه اللفظ مِن جِهَةٍ أُخرَى.

المستَوَى الصَّرفيّ:

هــو علــم المورفولوجيــا يتناول البنيــة التي تمثّلهــا الصيغ والمقاطع والعناصر الصوتيّة التي تؤدّي معاني صرفيّة، أو نحويّــة، ويُعنى بدراسة الوحدات الصرفيّة (المورفيمات) من دون أن يتطرّق إلى مسائل التركيب النحوي، ويــدرس المستوى الصرفي الصيغ الصرفيّة، واحتمال الكلمة الواحدة وجوهًا للمعاني مثل الإتيان بالمصــدر الميمــي واحتمالــه معاني اسمــي الزمــان والمكــان، وتغيير المعنــى للكلمــة باختــلاف كميّة

حروفها اعتمـادًا على قاعدة (زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى)[١٢].

المستوى الصرفي في الوصيّة:

إنّ مـن الأسس العامّـة في اللغة ظاهرة (زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنـى)، فقـد تذوّقهـا اللغويّـون الأوائل فـي جمعهم لكلام العرب، وفسّرها بعـض المنظّرين من بعدهم بتفسيـرات لا تـزال محتاجـة إلى ضبـط مواردها، وحصـر صورها؛ لأن كثيرًا ممّـا لا يدخل تحت هذا الأسـاس، قد يعـدّ -وهمًا- منها، لـذا يحتاج الأمر إلـى نظريّة ترصد الصور المتعـدّدة والمختلفة، ثم تبني القواعد المتحكّمة في إدخال غيره وإخراجه.

إنّ ظاهـرة (زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى) لها دلالات ربما نلحظها في كلمات العلاّمة الحلّي، فنجده فـي قوله: (وعليك بتـلاوة الكتاب العزيـز، والتفكّـر فـي معانيـه، وامتثال أوامره ونواهيه وتتبّع الأخبار النبويّـة والآثـار المحمّديّة، والبحث عـن معانيهـا، واستقصـاء النظر فيها) يأتـي بلفظة (تتبّع)، فقد جاء بزيادة حرف التـاء، وكذلك لفظة (استقصاء)، وهي لفظة قد أضيف لها حرفان من حروف الزيادة العشرة المعروفة (سألتمونيها)، وهما (التاء والسين)؛ وذلـك للدلالة على مبالغة الكلام الذي قاله لولده؛ كي يدفعه للاهتمـام بهذه الأوامـر، فتكرار الزيادة يقتضي زيادة في المعنى: «إنّ المبالغة هـي زيادة في المعنى تقتضي زيادة في بناء اللفظ»[١٣].

إنّ ورود الجمـوع في هذا المقطع القصير يعطـي دلالات نلحظها، بل هـي واضحـة، فالعلاّمـة الحلّي يستعمـل جمع التكسيـر (معاني، أوامر، نواهـي، أخبار، آثار)، فهو في غايـة الأهميّـة، والعجيـب أنّ بعض أهل العربيّة قلّل من قيمة جمع التكسير، فمنهم مَن كان «ينادي بحـذف بـاب جمـع التكسير من

الصرف؛ إذ لا يرى فيه فائدة لدرس الجملة غير أنّ الدرس الصرفي لجمع التكسير مهم جدًا [١٤].

المُستَوى التَّركيبيّ:

هو المستوى الذي يُقصد به الجانب النحوي، أو الوظيفة النحويّة لكلِّ كلمة داخل الجملة ، ذلكَ أنَّ: «فالمستوى التركيبي يدرسُ تآليف وتراكيبَ الجُمَلِ وطرقَ تكوينها وخصائصها اللغويّة»[١٥].

وقد عرّفه الدكتور فريد عوض في كتابه (علم الدلالة دراسة نظريّة) تعريفًا واضحًا مبسّطًا إذ يقول: «هو استنباط المعاني العامّة للجمل والأساليب الدالّة على الخبر أو الإنشاء والإثبات أو النفي والتأكيد والطلب كالاستفهام والأمر والنَّهْي والعَرْض والتحضيض والتمنّي والترجّي والنداء باستخدام الأدوات الدالّة على هذه الأساليب»[١٦].

إنّ بنية اللغة لا تكتفي بمجرد صياغة المفردات على وفق القواعد الصرفية، بل تحتاج إلى وظائف معيّنة تسمّى: (الوظيفة النحويّة) وهي التي تحتلّ الكلمات فيها مواقع معيّنة تُشير إليها علامات معيّنة نسمّيها علامات الإعراب في العربيّة التي تدلّ على نوع العلاقة الوظيفيّة والدلاليّة التي تربط بين الكلمات أو المفردات داخل التركيب، فمثلًا: ضرب موسى عيسى، وضرب عيسى موسى.. بينهما اختلاف مردّه إلى اختلاف الرتبة، فالموقع أو الرتبة يصبح ذا محتوى دلالي؛ لأنّه لا تظهر عليه علامات الإعراب ، فهي أسماءٌ مقصورةٌ.

فالموقعُ هو نفسهُ الذي يؤدي وظيفة: فاعل، مفعول به، تمييز، صفة...، فهو إشارةٌ إلى وظائف، والوظائف هي علاقات دلاليّة تربط العلامات بعضها ببعض في الكلام أو وسط الكلام, وتزيد هذه العلاقات الدلالية تحديدًا بالعلامات الإعرابيّة التي هي مؤشّرات

إضافيّة، ومِن ثَـمَّ تزيدُ في بيانِ نَوعِ العلاقَةِ النَّحويَّةِ والوَظيفيَّةِ والدلاليَّةِ.

المستوى التركيبي في الوصيّة:

إذا تأمّلنا الوصيّة مجدّدًا لوجدنا أنّ العلاّمــة الحلّــي ﷺ يُكثــر من أداة التوكيــد (إنّ)، فقد تكرّرت سبــع عشرة مــرّة، وهــذا الأسلوب يُشعــر بوجود اجواء مليئــة بالترديد والإنكار، فأغلــب الناس يتردّدون في تطبيق جميع الأوامر والنواهي، لــذا يحتاجون إلى توكيدات تحثّهم على العمل بالأوامر والنواهي، وربما جاءت هذه التوكيدات لجهل الناس بأهميّة الوصيّة.

ثمّــة أسلــوب آخــر استعملــه العلاّمة الحلي، وهو أسلوب الإحالة الضميريّة، فقــد كرّر في وصيّته الإحالة الضميريّة، وهذا الاستعمال أو الإحالــة نــوع مــن الاستعمالات اللغويّــة، وهــو عدم ذكــر الشيء بلفظــه، وإنّمــا يذكر علــى هيأةِ ضَميرٍ بعائد أو غير عائد، فالإحالة الضميريّــة فــي هــذه الوصيّــة قد استحــوذت علــى تراكيبها من أول جملــة فيهــا، وتوزّعت علــى أنواع الضمائــر المعهودة في العربيّة كلها تقريبًــا، إلاّ أنّ بعضها متكاثر في النص بصورة أكثر بروزًا وتكرارًا من غيرها، ومنها: الضمير الوجودي، ونعني به ضمير المخاطب العائد إلى ولــده فخــر المحقّقــين ﷺ، وضمير المتكلّــم العائد إلى العلاّمة الحلّي، وضميــر المفــرد الغائــب، فمنهــا: (أعانك- وفّقك- أرشدك- بلّغك- أسعــدك- حبــاك- مذّ لــك- ختم أعمالــك- رزقك- لخّصتُ- بيّنتُ- أوضحــتُ- دخلتُ- علــيّ- فيهم- مودّتهم- صنّفته- أكمله).

إنّ هذه الضمائــر الإحاليّة تعمل على تماسك النصّ وتحكم الروابط بــين شخوصه وأحداثــه وإن كانت متضــادّة ومتناقضــة، وتضفي على النــصّ سمــة الإيجاز الــذي امتدّت دلالاته واتّسعت، وعدم ذكر الأشياء

وتكرارها، وأن عدم ذكر الأسماء بألفاظها الصريحة يعني التعظيم لها في بعض الأحيان فهذه الإحالات الضميريّة تلمح إلى مخاطَبٍ قريب، وغائب قريب يريد به التعظيم، وقد عملت هذه الضمائر على تنوّع الحوار الداخلي للنّص بين الوالد والمولود، وإظهار أبعاد الوصيّة، وتحديد أوجه الطاعات، ومن أعظمها احترام ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله، والتواصل معها، إذ يقول: (وعليك بصلة الذريّة العلويّة، فإنّ الله تعالى قد أكّد الوصيّة فيهم، وجعل مودّتهم أجر الرسالة والإرشاد)، فهنا أعرض العلاّمة الحلّي عن ذكر الذريّة بلفظها، بل ذكرها في بداية الكلام، ثمّ كنّى عنها بضمير غائب تعظيمًا من شأنها عنده، فاستعمل إحالة ضميريّة (الهاء) في (فيهم- مودّتهم)، لكي يحكم القول في أذهان المخاطبين- سواءً كان ولده أم جميع الناس- بأنّ صلة ذريّة الرسول الأعظم هي خصلة عظيمة.

إنّنا بحاجة الى دراسة الوصيّة دراسة شاملة، وأهمّها الدراسة الاجتماعيّة، ثمّ الانتقال إلى الأساليب الإبداعيّة؛ لأنّ دراسة نصّ إبداعيّ كوصيّة العلاّمة الحلّي في معزل عن سياقاته التداوليّة النفسيّة والاجتماعيّة هو ظلم بحقِّ النصِّ نفسه، ومبدعه، فالنصُّ ليس بنية لغويّة مجرّدة، بل هو بنية لغويّة مقاميّة، تواصليّة، فتداعي الكلمة في النصِّ الإبداعي لا يمكن أن يتمّ بمعزل عن السياق الذي تتخذه الكلمة من هذا السياق.

إنّ شعرية التوكيد، وشعريّة الحذف في الأسلوب التركيبي، وما يكتنزان من قوّة كامنة في التلميح والاشارة يضيفان شحنة بلاغيّة إلى اللغة، وانزياحًا عن مألوفيّة السياق واعتياديته، فالتوكيد زيادة لغويّة إذا أحسن استعمالها أعطت قوّة شعريّة للنصّ،

والحذف نقــص لفظي، فإذا أحسن استعمالــه أعطــى شحنــة شعريّــة للنصّ، وقد أبــدع العلاّمة الحلّيﷺ في إعطائه مثــالاً لشعريّة التوكيد من الوصيّة إذ يقول: (...هذا ما يرجع إليك. وأمــا ما يرجع إلي ويعود نفعه فــيّ...)، فهنا جــاءت لفظة (يرجع) بصيغة المضارع، ونحن نعلم أنّ صيغة المضــارع تفيــد التوكيــد والتجدّد والحدوث، وكذلك تكرار اللفظ يوجب التوكيد.

إنّ استعمالَ العلاّمة الحلّيﷺ جموع الكثــرة؛ جــاء بسبــب انسجامها بدلالتهــا علــى كثــرة المطالب من الأوامر والنواهــي، واستعمل أيضًا جمع القلّــة؛ لإظهار قِلّــة الحيلة في إتمــام جَميــع الأَوَامــر، وربَّمــا قلّة المُتَّعِظِينَ بكلام وصيَّته .

ولــو أنعمنــا النَّظَــرَ فــي الجُمَلِ الواردة في الوصيَّــة لوجدنا سيطرة الجمــل الماضيــة سيطرةً تامَّــةً، إذ تجاوز عدد الجمل التي وردت بصيغة الماضي ثلاثــين جملة، حين انعدمت الجمــل المضارعة فــي الوصية، إلاّ بعض الجمل :(تتعهدني بالترحّم في بعض الأوقات، وأن تهدي إليّ ثواب بعض الطاعات، ولا تقلّل من ذكري فينسبك أهــل الوفاء إلى الغدر، ولا تكثــر من ذكــري فينسبــك أهل الغرم إلى العجز).

وتكــادُ الوصيَّة تكــون مُجرَّدَة مــن الدلالة المُضَارعة، فهي تريد أَنْ تتحدثَ عَنِ الأَوَامِــرِ والنَّوَاهِي التي جاءَتْ في الماضي مِن قِبل المُصطَفَى وأهــل بيتــه صلــوات اللّه عليهــم، وكذلك إظهار المواعظ التي عرفها المسلمــون فــي السابــق، وكيفية التعامل معها.

المستوى الدلالي:

إنّ جميع المستويات اللغويّة السابقة (الصوتيّــة، الصرفيّة، التركيبيّة) لابــدّ من أن تكون حاملــة للمعاني أي الــدلالات، فقضيّــة الدلالة من أقدم مــا شغلت به الحضــارات من

قضايا أسهم في دراستها الفلاسفة، واللغويون، والبلاغيون، وعلماء الأصول من العرب وغيرهم، ويُعد البحث الدلالي محورًا من محاور علم اللغة الحديث، فهو يركّز على دور المجاز، والاستعارة، وتحليل المعاني المباشرة، وغير المباشرة للنصّ.

المستوى الدلاليّ في الخطبة:

يبدو أنَّ الوصيَّةَ خاليةٌ من الترادف؛ لأنَّ العلَّامةَ الحلّيّ أَعطَى لكلِّ لفظةٍ حقَّهَا ، لذا جاءتْ مُرتبطَةً ارتباطًا وثيقًا بالمعنَى، فالمعاني عندُه – خاصَّةً في الوصيّة– تتسلسلُ في سياق وثيق، والألفاظ عنده تنبث عبر نغم أو وزن ذاتي مضمر مما يضيف إليها إيقاعًا شبيه بإيقاع الشعر، بل إنّنا نلتمس فيه لطافة البلاغة والتنغيم ، فهو يضع حروف الشدّة الانفجاريّة في بداية وصيّته؛ ليُشعرك بالاهتمام بأمر الوصيّة.

وإذا أقمنا موازنة لهذه الوصيّة الرائعة في ميزان النثر الصافي، والمتّزن يبدو أنّها تفوق النثر، فلم تقتصر غاية الموصي المبدع فيها على إيضاح بعض المواعظ، بل تعدّته إلى الإيجاد والتأثير، فالسجع المتكرّر في وصيّة العلّامة الحلّي قدس سره له جرس خاص، ونغمة متميّزة يمتاز بها إذ يجمعه البناء الواحد المترابط، لذلك يقول الأستاذ المبارك: «والكلمات التي تكون على بنية واحدة تجمعها رابطة الجرس والنغمة وتميزها في الكلام المسموع من غيرها من الألفاظ كما تجمعها أو تكاد رابطة التناظر التزييني في الكلام المكتوب وإن كانت الأولى أوضح وأقوى لذلك كانت أبنية الألفاظ وأوزان الكلم العربي وحدات موسيقيّة ترجح إليها جميع ألفاظ اللغة العربيّة وكان الكلام في حال تركيبه سواءً كان شعرًا أم نثرًا مجموعة من التراكيب والوحدات الموسيقيّة، إذا أحكم تركيبها وتولّتها يد صنّاع

وحسّ مرهف وفكر نافذ كانت إلى جانب أدائها للمعنى قطعة فنيّة موسيقيّة تسابق المعنى إلى القلب عن طريق الحسّ والسمع حتّى أنّ الكلام العربي يبدوا كأنّه زخارف الفنّ العربي في صوره المتناظرة والمتكرّرة والمتشابهة والمختلفة، وهذا هو سرّ موسيقيّة اللغة العربيّة وجمال إيقاعاتها وحلاوة نغماتها، ولاسيما إذا وقع صائغ الكلام على أنواع موفقة من التأليف والمزواجة بين الألفاظ».

ومن الأساليب البلاغيّة التي استعملها العلاّمة الحلّي ﷺ في وصيّته هو أسلوب الطباق، وهو أسلوب يحقّق بنية ايقاعيّة يطلق عليها الايقاع التقابلي، نحو: (الحاضر منه والباد)، وكذلك: (ومقابلة المسيء بالإحسان، والمحسن بالامتنان)، فضلاً عمّا يتركه الطباق من أثر في تأكيد المعنى وإيضاحه.

ثمّة أمرٍ لطيف هو أنّ العلاّمة الحلّي ﷺ استعمل الاستعارة، إذ يقول: (وعليك بتلاوة الكتاب العزيز، والتفكّر في معانيه، وامتثال أوامره ونواهيه وتتبّع الأخبار النبويّة والآثار المحمّديّة، والبحث عن معانيها)، فقد استعار عن القرآن الكريم بالكتاب، وبالسنّة النبويّة بالأخبار.

النتيجة:

إنّ أهمَّ ما توصّل إليه البحث من النتائج والأساليب المتنوّعة في الوصيّة هي:

١- الكشف عن أهميّة الكلمات في إلقاء المعنى بالنظر الى المادّة والصياغة، وكذلك السجع المتكرّر في: (إخوان، إحسان، امتنان)، (الرشاد، السداد)، (البرايا، المنايا)، فضلاً عن الإيقاع النفسي والاجتماعي فيها.

٢- إبراز المستويات اللغويّة بما تضمه الوصيّة من جماليّات عالية، ولا سيما في استعمال الزمن، والإحالة

الضميريّة، وجموع الكثرة.

٣- الكشف عن المستوى الصوتيّ في توظيف الحروف الانفجاريّة .

٤- المستوى الصرفي في العبارة المشهورة (زيادة المبنى تؤدي إلى زيادة المعنى)، وتأثيرها في المعنى اللغوي، وكذلك النفسي، والإيقاعي.

٥- استعمال الضمير المخاطب؛ ليُعرب لولده أهميّة الوصيّة، فلابدّ لكلِّ مسلم من أن يهتمّ بالوصيّة، فهي من المستحبّات المؤكّدة.

٦- أخذنا بنظر الاعتبار خلو الوصيّة من بعض الأساليب كأسلوب الاستفهام والشرط في المستوى التركيبي كونه ليس مناسبًا في هذه الوصيّة.

الهوامش:

(١) علم الدلالة: ٣٠.
(٢) أمل الآمل:٢/ ٢٦٠.
(٣) قواعد الأحكام:٣/ ٧١٤.
(٤) الصحاح: ٦ / ٢٥٢٥، لسان العرب: ١٥ / ٣٩٤، مادة وصي.
(٥)اللمعة الدمشقية: ٥ / ١١ .
(٦) البرهان في علوم القرآن :٢/ ٥٦.
(٧) مفاتيح الغيب:٣/ ٣٥.
(٨) النظريّة البنائيّة في النقد الأدبي:٢١٤.
(٩) خصائص الحروف العربيّة ومعانيها: ٧٨.
(١٠) علم الدلالة دراسة نظريّة:٤٣ .
(١١) ظواهر أسلوبية في شعر أحمد شوقي: ١٠.
(١٢) المرجع نفسه : ١١ .
(١٣) الخصائص : ٣/ ٢٦٦ .
(١٤)أضواء على لغتنا السمحة:٥/ ٤٦.
(١٥) النظرية البنائية في النقد الأدبي : ٤٣ .
(١٦) علم الدلالة دراسة نظرية : ١/ ٢٦ .
(١٧) الموجز في تاريخ البلاغة : ١٢٥.

المصادر والمراجع.

١- القرآن الكريم.

٢- أصـول البلاغة: البحرانـي، كمال الدين ميثم، القاهرة، ط١، دار الشروق، ١٤٠٦هـ.

٣- أضـواء علـى لغتنـا السمحـة : محمـد خليـفة ، الكـويـت ، ط ١، مجـلـة العربي، ١٤١٧هـ.

٤- البرهـان في علـوم القـرآن: الزركشي، محمـد بـن بهـادر ، بيـروت ،ط١، دار التراث، ١٤٠٢هـ.

٥- التحريـر والتنويـر: ابـن عاشـور، محمد الطاهـر بـن محمـد ،تونس، ط١، الدار التونسيّة، ١٣٩٣هـ.

٦- الخصائـص : ابن جنّي، أبـو الفتح عثمان بن جنّي ،القاهـرة، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٩هـ

٧- خصائص الحروف العربيّة ومعانيها : حسن عبـاس ، دمشق، ط١، اتحـاد الكتّـاب العرب، ١٤٢٦هـ

٨- شـرح نهج البلاغة: ابـن أبي الحديد، عبد الحمـيـد ، بيـروت ، ط ١، الكـتـاب العربي، ١٤٠٢هـ.

٩- شـرح نهـج البلاغـة: محمـد عبده، إيران، ط١، ذوي القربى، ١٤٢٧هـ

١٠- الصحاح:الجوهري، إسماعيل، بيروت، ط٥، دار احياء التراث العربي، ١٤٣٠هـ

١١- ظواهـر أسلوبيّـة في شعـر أحمد بدوي : عصـام شـرتح ، دمشـق، ط١، اتحاد الكتّاب العرب، ١٤٣١هـ

١٢- علم الدلالة: أحمد مختار، القاهرة، ط٧، عالم الكتب، ١٤٣٢هـ

١٣- علـم الدلالـة دراسة نظريّـة : فريد عوض حيدر، القاهرة، ط٢، دار القاهرة، ١٤٢٦هـ

١٤- الغديـر فـي الكتـاب والسنـة والأدب : الأميني، عبـد الحسـين ،بيـروت، ط١، مؤسسة الأعلمي، ١٤١٥هـ

١٥- قواعد الأحكام: العلاّمة الحلّي، الحسن بـن يوسـف ، إيران، ط٢، مؤسسة النشر الإسلاميّ ، ١٤١٧هـ.

١٦- لسـان العـرب: ابـن منظـور، محمد بن مكـرم بـن علـي ،بيـروت، ط٢، دار صادر، ١٤٠٢هـ.

١٧- مغنـي اللبيـب عـن كتـب الأعاريـب: ابـن هشـام، عبـد الله بـن يوسـف ،دمشق، ط٦، دار الفكر، ١٤١٦هـ

١٨- مفاتيـح الغيـب : الفخر الـرازي، محمد بـن عمـر ،بيروت، ط٣، إحيـاء التـراث العربي، ١٤٠٦هـ.

١٩- الموجـز في تاريخ البلاغة : المبارك، مازن ،بيروت، ط٢، الفكر المعاصر، ١٤٢٨هـ

٢٠- النظريّـة البنائيّـة فـي النقـد الأدبـي: صـلاح فضـل ،بيـروت ط١، التـراث العربي، ١٤٢٦هـ.